

ولما علم عمر بن عبد العزيز بأن بعض عمال في فارس يضع الجزية على الذين يدخلون في الإسلام، حرصا على موارد الخزينة أن تنضب، كتب إليه: تسألني عن أناس من أهل الخيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس، وعليهم صلى الله عليه وسلم داعياً، ولم يبعثه جابياً، (1) وقال عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة: يا معشر قريش: أن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلي، وتعظمها بالأباء. الناس لآدم وآدم من تراب، "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

وإذن، فالتوحيد يجمع من يعترف به في رابطة واحدة. يستوي كل أفرادها فيها في جميع الحقوق والالتزامات، هي رابطة العبودية لرب العالمين، والتسليم بسيادته وحده على الجميع، ثم جاءت الرسالة عامة للجميع لتأكيد سيادة الله على عباده، وتأكيد أن نسبتهم إلى الله واحدة؛ "وإنا أرسلناك إلا كافة للناس" "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وكانت هذه الرحمة للعالمين، تخلصهم من الشرك الديني والاجتماعي، وتحرير البشرية من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى؛ وبذلك ألغيت جميع الفروق الاجتماعية بين جميع الأجناس، والألوان، والأفراد، فلا شعوبية، ولا قبلية، ولا طبقية.

وجاء القرآن يؤكد أن المسلمين جميعاً تتكافأ حقوقهم والتزاماتهم، وتكاليفهم ودمائهم، وجعل منهم وحدة كاملة متناسقة متجانسة. فوجه خطابه إلى جماعة المسلمين. في كافة التكاليف الإيجابية والسلبية، فإن "خاطب الناس". في أمر من الأمور العامة، قصد الإنسانية كلها، وخص جماعة المؤمنين، وإن خاطب "الذين آمنوا". فإنه يعني المسلمين في ثوب وحدتهم الجامعة، لا ينظر إلى جنس ولا إلى لون، وإن تحدث عن نسبة المسلمين إلى غيرهم من الأمم.

قال:

---

(1) الخراج لأبي يوسف، ص 131، طبع السليفة.